مكانة الرسول ﷺ
والرد على الشبهات المثارة حولها

بقلم
أ.د/ على على شاهين
أستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

فى معرض حديثه عن التشكيك فى الوحدانية والرسالة المحمدية ومعجزاتها، يقول جرجس سال فى كتابه" مقالة فى الإسلام" ص ٨١، "ومما لا شك فيه أن محمداً كان معتقداً حق الاعتقاد صحة الركن الأعظم من دينه، أعنى ركن التوحيد، ولذلك كان جل اهتمامه موجهاً إليه، ويتفق كل من المسلم والمسيحى فى عدة نقاط مذهبية؛ فيعترف الاثنان أن هناك إلهاً واحداً خالق للبشرية.

خلق آدم ومن بعده حواء اللذان أخطآ بفعل الشيطان، وأن الله أرسل عدة أنبياء ورسل إلى البشرية لتعليم الإنسان الفرق بين الخير والشر ومن بين المرسلين: نوح وإبراهيم وموسى ويوسف وهارون وداود.. الخ، وأن الله منح البشرية من خلالهم التوارة والأسفار، ثم أرسل عيسى الذى حمل للبشرية الإنجيل، ويتفق المسلم والمسيحى فى كل ذلك.

ولكن إخواننا المسلمين يذهبون إلى أكثر من ذلك ، فهم يضيفون: أن بعد عيسى جاء محمد،وأنه خاتم الأنبياء وأعظمهم، وأن من يتبعه سوف ينجو من يوم الحساب ، ويجيب المسيحيون ويقولون : لا: لأن عيسى هو خاتم الأنبياء، وأنه أعظمهم وأفضلهم ، وبفضله فقط تنجو البشرية. لهذا يكون الفرق بين وجهتى النظر: هو أن المسيحى يؤكد أن عيسى هو خاتم الأنبياء، فى حين أن المسلم يصر على العكس: إنه محمد، فلماذا لا نفارق بين وجهتى النظر ونتقبل أعظمها شأنا. ويقول جرجس سال فى كتابه" مقاله فى الإسلام " ص ٨٢.

١- بالنظر إلى مرحلة الولادة:

نجد أن محمداً ولد عن أب اسمه عبد الله، وسيدة اسمها آمنة، ولم يكن هناك شئ عظيم يبشر بولادته، وظل بعد ولادته عدة سنوات لم تحدث خلالها معجزة حتى بلغ من العمر أربعين عاماً، حيث ادعى نزول الملاك جبريل عليه وتحدث معه، ولكن حتى هذه اللحظة لم يكن هناك ما يبشر بأن محمداً سيكون نبياً من العظماء "

ويقول صاحب ذيل مقالة فى الإسلام فى ص ٣٦٥ معلقاً على ما سبق.

"وصحيح أن بعض الجهلة من المسلمين يروون القصص الخرافية حول ولادة النبى محمد ، ولكن المسلم الذكى لا يجهل أنه لا يوجد فى القرآن مثل هذه الخرافات ، وأن هذه الأساطير ألفت فيما بعد، أما عن عيسى فتأتى ولادته معجزة كما يعترف بذلك القرآن فى سورة مريم الآية

١٨، فإننا نقرأ أن جبريل ظهر لمريم التى قالت فى حالة من الرعب تبحث عن مأمن بجانب الرحمن، فرد عليها. قائلاً: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا، فقالت له كيف ذلك، وأننى لم أعاشر رجلا وما زلت عذراء؟ فرد عليها قائلاً هذه إرادة الله ليكون دليلا أمام الإنسان.

إن القرآن يشير صراحة إلى أن جبريل الذى أرسله الله لمريم لينبئ بمجئ المسيح، وأنها ولدته دونما علاقة بأى رجل ، وفى سورة الأنبياء كذلك إشارة إلى مريم ومعجزة ولادة المسيح.

فيا أيها المسلمون : إنكم تدعون أن القرآن كلام الله ، لذلك فعليكم أن تعترفوا بأن ولادة المسح كانت تمثل حادثاً عظيماً.

إن المسيحيين لا يقبلون القرآن ولكنهم يتقبلون الإنجيل الذى تنبأ بهذا الحدث، وقد قال أحد أبناء النبى يعقوب قبل ولادة المسيح ب ٧٠٠ سنة" سوف تنجب العذراء ابنا ستسميه عمانويل ، وقصة هذه المعجزة مذكورة أيضا فى إنجيل لوقا (١/ ٢٨-٣٦)

" لقد دخل الملاك فى المكان الذى تتواجد فيه مريم وقال لها: السلام عليك أنت يا من اختارك الله ، واضطربت مريم لهذا الكلام وتساءلت عما يعنيه، فقال لها الملاك: لا تخافى يا مريم لأن الله اختارك فسوف تصبحين حاملاً وتلدين طفلاً وتسميه عيسى، وسوف يعرف بابن الأعلى، والسيد الإله سوف يعطيه عرش والده داود، سوف يحكم بيت يعقوب أبدياً؟ ولن يصل حكمه إلى نهايته أبداً، فقالت مريم كيف ذلك وأنا لم يقربنى رجل أبداً. فرد الملاك قائلا: إن الروح القدس سوف تأتيك ، وسوف يحميك الإله الأعلى برداء ظله ! ولذلك سيطلق على من تلدينه إنه ابن الإله " ويتفق كل من القرآن والإنجيل على معجزة ولادة عيسى، فالفرق بن محمد وعيسى إذن : هو أن الأول ولد كسائر البشر فى حين أن الثانى كانت ولادته معجزة إلهية "أ.هـ.

٢- وبالنظر الى الناحية الفكرية التى ستظهر لنا الفرق بين الرسولين :

يقول جرجس سال فى كتابه " مقاله فى الإسلام" ص ٨٧.

" أما المعارف التحصيلية؛ فمن المقرر أن محمداً لم يكن منها على شئ البته، وذلك أنه نشأ وتربى على ما ألفته قبيلته، ولذلك نجد انه بفعل ولادته كسائر البشر ورث محمد من البشر طبيعتهم الآثمة ، ويوضح لنا القرآن بما لا يدعو إلى الشك ما نقوله خاصة فى صورة الضحى الآية السابعة " ووجدك ضالا فهدى" وفى سورة غافر يقول القرآن فى الآية

(٥٤) " واستغفر لذنبك" وفى سورة النصر يقول القرآن فى الآية (٣) " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً" وفى سورة الفتح الآية (٢) يقول القرآن "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر".

وتشير هذه الاستشهادات بنصوص القرآن إلى أن محمداً كان آثماً مثله فى ذلك مثل بقية البشر.

أما عيسى فكون ولادته معجزة فلا بد أنه ورث طبيعة طاهرة لا غبار عليها، ومن القرآن ذاته نستطيع أن نجد الدلائل على ذلك.

ففى القرآن يطلب الأنبياء جميعهم من الله الغفران أى انهم يعترفون بإله واحد وبأنهم اخطأوا، وبأنهم يطلبون المغفرة من الإله الواحد.

أما عن عيسى:فجدير بالذكر أن القرآن لم يذكر أبدا أن عيسى قد اخطأ، بل على العكس كما جاء فى سورة النساء آية (١٧١) يقول: "إنما لمسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" وفى سورة آل عمران الآية (٤٥) يقول " إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين".

إن عيسى كلمة الرب وروحه ويجب أن يكون كاملاً وهو طاهر، ويؤكد الإنجيل هذا الكلام، فقد نزل جبريل على مريم قبل ولادته يبشر بالروح المقدسة (لوقا ١/ ٣٥) وقد قال عيسى بنفسه: " أنا مطيع لمن أرسلنى" (يوحنا ٨/ ٢٩) وعن أعدائه كان يقول: من منكم يقنعنى بالذنب (يوحنا ٨/٤٦) كما قال أيضا: إن الشيطان آت وهو أمير هذا العالم ولكنه لن يجد فىَّ وسيله (يوحنا ١٤/ ٣)

وفى رسالة القديس بطرس الأولى قيل إنه لا يذنب ولا يخطئ، وهكذا يتأكد لنا الفرق بين محمد وعيسى فى هذه النقطة الثانية، وهى أن محمداً كان كسائر البشر مذنباً فى حين أن عيسى كان طاهراً.

إذن : فيمن تريدون أن تضعوا أقداركم، فى محمد .المذنب ؟ أو عيسى الطاهر؟

كيف يستطيع المذنب أن ينقذكم من ذنوبكم؟

هل من الممكن للأعمى، ان يقود الأعمى؟

إن الذى لم يخطئ هو الذى يستطيع أن ينقذكم من جراء ذنوبكم"

ويقول صاحب ذيل مقالة فى الإسلام ص ٤٠١- ٤٠٣ بتصرف.

٣- أما النقطة الثالثة:

التى توضح الفرق بين الرسولين فهى أن عيسى قام بعدة معجزات؛ فى حين أن محمداً عجز عن ذلك، وصحيح أن المسلمين يقولون إنه قسم القمر نصفين،وعدة معجزات أخرى، ولكننا بالتعمق والدراسة نكتشف أن قصص هذه المعجزات كتبت بعد مضى قرون من وفاة الرسول محمد ، ولذلك لا نستطيع تصديق هذه القصص، فمثلا إذا قيل لنا: إن فلانا أعاد البصر لأعمى منذ ٢٥ عاماً فمن الممكن التحرى لدى أشخاص عاصروا الواقعة، أما إذا كان الحدث يرجع إلى أكثر من ١٥٠ عاماً فكيف يكون من الممكن التحرى عن صحة الرواية وبدون الرجوع لأشخاص قد عاصروا الحدث، أو وجود أدله تثبته يصعب على المرء أن يتقبله ،وبذلك ليس هناك ما يثبت صحة قيام محمد بمعجزات ، ولذلك كان يقول تكرارا هل كنت إلا بشراً رسولا. " سورة الإسراء : ٩٥".

إنما أنا بشر مثلكم"سورة الكهف " ١١٠".

وغير ذلك مما يفيد هذا المعنى ... "

ألا ترى أن خصومه لم يفتروا عن مطالبته بآية كما يقر هو بأن الآيات عند الله لا عنده، ولو كان من أول الأمر معتقداً أن القرآن معجزة؛ لكان من أسهل الأشياء عليه أن يسكتهم بقوله لهم: هاكم المعجزات التى تطالبوننى بها، وهى ما تتلى عليكم من آى القرآن وسوره، فصمته عن هذه الحجة مدة متطاولة يدل دلالة قطعية على أنه لم يكن من أول الأمر يعتقد أن القرآن معجزة. وبما أن محمداً قال بنفسه أنه لم يقم بمعجزات، فعلينا أن ننظر إلى هذه القصص كروايات لها طابع أسطورى، وذكر فى القرآن أن الكفار طلبوا من محمد دليلاً، فرد عليهم بأن الله لا يحتاج إلى دليل، ولن نذكر فى هذا الصدد سوى آيتين ، ففى سورة العنكبوت الآية (٥٠) " وقالوا لو لا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين " وكذلك فى سورة الإسراء الآية (٥٩) . قوله" وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون" هنا أيضاً يؤكد القرآن أن محمداً لم يقم بمعجزة بين من عاصروه ؛ بل على العكس كانت حياة عيسى مليئة بالمعجزات ، فقد كان يعيد البصر إلى الأعمى والسمع للأصم ، ويعيد الأعرج إلى طبيعته ، ويطهر من إصابه الجزام، وشفى كثيراً من المرضى، كما أحيا الأموات ، ومن بينهم من ظل فى تابوته أربعة أيام ، كان المسيح عيسى يقوم بجميع هذه المعجزات باسمه وبقدرته وفقا للرب.

فمن أثبت قدرته ورحمته التى لا نهاية لها بتلك الأعمال فهو المنقذ الوحيد.

ويقول صاحب الذيل فى ص ٤٠٣ وما بعدها.

٤- أما النقطة الرابعة:

فهى عن الموت ، فقد مات محمد كمثل بقية البشر،فلقد ولد مثل البشر، ومات مثل البشر ومات مثل البشر.

ولد فى مكة، ومات فى المدينة، وبعد موته دفن وفني جسده مثل بقية البشر، أما المسيح عيسي فكانت نهايته غير ذلك فيذكر القرآن فى " سورة آل عمران آية ٥٥ " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ" وفى " سورة مريم الآية ٣٣ "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا"

وفى " سورة المائدة ١٧٧" وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ "وفى سورة النساء ١٥٧ "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ " ...." إلى قوله تعالي " بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ " النساء ١٥٨.

وإذا كانت هذه الرواية صحيحة، فعلي المسلمين الاعتراف بأن عيسي رفع إلى الله حيا، فى حين أن محمداً قد مات وعاد جسده إلى التراب. فمن من الرسولين يكون هو المنفذ ! الذي مات أو الذي مازال حيا ؟

ولكن فى الإنجيل مكتوب أن عيسي مات، وأن الرومان قد صلبوه ومات بعد ست ساعات ووضع جسده فى المقبرة، ويقول البعض ربما، وما داما الاثنين قد ماتا فما الفرق بينهما؟ إن الفرق هو أن محمداً قد مات ودفن ، فى حين أن عيسي قد رفع إلى ربه، فقد خرج من قبره فى اليوم الثالث حياً، وقد كتب الإنجيليون الأربعة متى ولوقا ومرقص ويوحنا قصة المسيح ، واتفق الأربعة على أنه قد خرج من قبره وظهر لعدة أشخاص، وفى فجر يوم الأحد عندما ذهب النساء لتكفين الجسد وجدن القبر فارغاً ومفتوحاً، فظهر لهن ملكان يقولان لهن: لا تخفن فإنا نعلم انكن تبحثن عن المسيح الذي صلب، إنه ليس هنا إنه أعيد إلى الحياة كما كان، قد قال تعالوا وانظروا إلى المكان الذي رقد فيه، واذهبوا لتبشروا أنصاره بعودته إلى الحياة (متى ٣٧ / ٧،٦) ثم ظهر عيسي بعد ذلك أمام النساء ثم بطرس ثم بقية القديسين، وظهر أيضا لعدد كبير من أتباعه، كما ظهر أمام ٥٠٠ شخص مجتمعين فى مكان واحد، وبعد بعثه ظل أربعين يوماً

على الأرض كان جسده غير عادي، فكان يستطيع الذهاب إلى أي مكان دخولاً وخروجاً دون أن يراه أحد.

وأخيراً قاد أتباعه إلى جبل بالقرب من القدس حيث باركهم، وبعد ذلك صعد إلى السماء أمامهم، وقد يسأل بعضكم لماذا مات عيسى في حين أن ولادته كانت معجزة وأنه كان طاهراً ويقوم بالمعجزات؟ وإذا كان فعلاً أعظم الرسل فلماذا لم ينقذه الرب من أيدى اليهود؟ إن عيسى كان طاهراً، ولكن بما أن الموت هو جزاء كل خطيئة فقد أخذ عيسى المسيح خطايا البشرية كلها ودفع جزاء هذه الخطايا، ولهذا مات عيسى، وقد قال عنه أحد أبناء إسحاق"إنه كان جريحاً بخطايانا ومحطماً بآثامنا" كما قال عيسى بنفسه "لقد جئت لأضحى بحياتى لعديد منكم" فى الإنجيل مكتوب إنه حمل خطايانا فى جسده على ألواح الصليب، لقد تحمل المسيح الخطايا وهو الطاهر. لعلكم أيها المسلمون تستطيعون أن تحكموا الآن من من الاثنين يستطيع أن ينقذنا؟

محمد أو عيسى؟ إن عيسى هو الطريق الوحيد الذى يؤدى إلى السماء، فإذا تقبلتوه كمنقذكم وسيدكم فسوف تنقذون من الهلاك، وسيصحبكم إلى الأبد فى الجنة.

نقول وبالله التوفيق:

لقد بدأ جس سال وصاحب الذيل بذكر نقاط تدعى أن كلاً من المسلم والمسيحى يتفق عليها، ومنها: إن كلاً منهما يعترف أن هناك إلها واحداً خالق للبشرية خلق آدم ومن بعده حواء، واللذين أخطآ بفعل الشيطان، وأن الله أرسل عدة أنبياء ورسل إلى البشرية لتعليم الإنسان الفرق بين الخير والشر، ومن بين المرسلين: نوح وإبراهيم ويوسف وموسى وداود، وأن الله منح البشرية من خلالهم التوراة والأسفار، ثم أرسل عيسى الذى حمل للبشرية الإنجيل، ويتفق المسلم والمسيحى فى كل ذلك.

وبعد أن يوهم جرجس سال وصاحب الذيل المسلمين باتفاق المسيحيين معهم فى هذه النقاط، يكون من المنطقى أن ننتقل إلى نقاط الخلاف لمناقشتها وتصفياتها.

فيا ترى: ما هى نقاط الخلاف التى يراها جرجس سال؛ وصاحب الذيل ومن على شاكلتهم من المبشرين والمستشرقين؟

إنها نبوة محمد ﷺ ؟؟ ونحن نقول لهم بادئ ذى بدء: إننا لا نخسر بهذا الخلاف شيئاً؛ لأننا نؤمن بعيسى وهم يعترفون لنا بذلك، أما هم فلا يؤمنون بمحمد، فخلافنا هنا لا يضرنا بل يضرهم هم.

ثم نقول لهم: هل ناقشتم هذه النقطة وبحثتم إذا كان محمد نبياً حقاً؟ أو دخلتم فى أساليب أخرى بعيدة عن لب الموضوع وجوهره؟ لقد لجأتم إلى الطريقة الثانية ودخلتم فى أساليب تشبه أساليب الأطفال عندما يتحدى بعضهم بعضا، فوضعتكم كلاً من محمد وعيسى عليهما السلام موضع الخصمين المتنافسين وطلبتم إلى المسلمين أن يقفوا موقف الحكم الذى يقارن بينهما، ليحكم أيهما أولى بالنبوة والإتباع؟

فهل - يا ترى- يعتقد هؤلاء المبشرون والمستشرقون أن المسلمين ينكرون نبوة عيسى عليه السلام فى سبيل إثبات نبوة محمد ﷺ؟ وهل يا ترى أمرهم دينهم أن يتطاولوا على مقام الأنبياء مثل هذا التطاول؟ اللهم إننا نبرأ إليك من ذلك.

وهل - يا ترى - يكون أسلوب المقارنة هو الذى يحكم على محمد بالصدق ؟ أو أن هذا أسلوب فى التأثير النفسى بعيد عن الحق والمنطق الصحيح، ومع ذلك فتعالوا - معشر المبشرين - نجاريكم فى الحديث ونناقش كل ما قدمتموه ونضعه على محك العقل السليم الصحيح ، فعن ما ادعيتموه من نقاط الاتفاق بينكم وبين المسلمين: هل صحيح أنكم تتفقون مع المسلمين فى الإله الواحد الذى خلق البشرية؟

إن الإله عند المسلمين واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فليس أباً لأحد، وليس ابنا لأحد، ولا يشاركه فى ألوهيته أحد، لا من المادة ولا من الروح ولا من غيرهما، فهل إلهكم الذى تدينون له بالألوهية كذلك؟

مدى علمنا: أنه ليس كذلك، وإنه عندكم يمكن أن يكون أباً، ويمكن أن يكون ابناً، ويمكن أن يتجسد فى جسم؛ ويمكن أن يكون روحاً قدساً؟ ويمكن أن يكون واحداً؟ ويمكن أن يكون له ثان وثالث وكل ذلك عندكم شئ واحد ؟[1]

---

(١) ورد فى إنجيل متى ٢٣/ ٨ (أما أنتم فلا تدعوا أحداً سيدكم، فإن سيدكم حيى، المسيح واحد) ففيه دليل على أن جموع المؤمنين بعيسى فى زمانه لم يكونوا يعتقدون أنه إله أو أحد الأقانيم الثلاثة، بل كانوا يعتقدون أنه نبى فقط، وهذا من أقوى الحجج على القائلين بألوهيته لو كانوا يعقلون

فكيف، تدعون: أن المسلم والمسيحى يتفقان على ذلك؟ وهل هذه الدعوى من الصدق الذى يجب عليكم التزامه؟

ثم هل صحيح انكم تتفقون مع المسلمين فى أن الله أرسل إلى البشرية رسلاً منهم: نوح وإبراهيم ويوسف وموسى وداود- عليهم السلام- وأن الله أرسل عيسى للبشرية بالإنجيل؟

- إن عيسى عليه السلام- عند المسلمين- رسول من رسل الله مثله كمثلهم فى البشرية، ومثله كمثلهم فى أنه عبد مخلوق لله شرفه الله - كما شرفهم- بالرسالة وآتاه من المعجزات كما آتاهم، وأوحى إليه كما أوحى إليهم، فليس إلها، ولا ابن إله، ولا جسماً حل فيه إله ولا تجسد من إله ... فهل عيسى عليه السلام - كذلك عندكم؟

- مدى علمنا: أنه ليس كذلك، وأنه عندكم يمكن أن يكون إلها، ويمكن أن يكون ابن إله ويمكن أن يكون محلاً أو تجسماً لإله، وكل ذلك فى ذات عيسى الذى ليس شيئا سوى الإله نفسه- كما تدعون- فكيف بعد ذلك- تدعون أنكم تتفقون مع المسلمين فى عقيدتهم فى المسيح عليه السلام؟ وهل ذلك من الصدق الذى يجب عليكم التمسك به؟

ماذا يبقى مما ذكرتموه من نقاط الاتفاق؟

- إن الله خلق آدم وحواء، وأنهم عصيا الله فأخرجهما من الجنة، نعم: لكنكم تزيدون على ذلك أسطورة توريث الخطيئة، وأن بنى آدم قد ورثوا جميعاً خطيئة آدم، وأنهم مسئولون عنها أمام الله، وأنهم جميعاً يستحقون عليها العقاب.

فمن أين أتيتم بهذه الأسطورة؟ ولم يرد لها ذكر عند الرسل الذين ذكرتموهم؟ نوح وإبراهيم وموسى ويوسف وداود؟ بل عيسى نفسه عليه السلام؟

وماذا كانت رسالة هؤلاء الرسل العظام إذا لم تكن إنقاذ البشرية من الضلال ومن الهلاك فى العذاب، وما فائدة إرسالهم إذا لم يكن فى قدرتهم أن يفعلوا ذلك، وما قيمة جهادهم إذا لم يكن من يتبعهم واثقاً من البراءة والنجاة، ألم تقولوا معشر المبشرين: إن الله أرسلهم لتعليم الإنسان الفرق بين الخير والشر، وما فائدة ذلك إذا كان الإثم ملازماً له لا ينجيه

راجع: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل فى العبودية ولاحظ له فى الألوهية د/ محمد تقى الدين الهلالى-مطابع دار الثقافة- مكة ص ١٣٩٣ هـ.

منه، ولا يطهره منه معرفته للفرق بين الخير والشر وسعيه للخير واجتنابه للشر؟

- أظن أنه لم يعد هناك وجه واحد مما ذكرتموه - وادعيتم أننا نتفق عليه - يمكن أن يكون محلاً للاتفاق؟؟

- وهذا - منذ البداية يبين أسلوب التلبيس الذى تستعملونه فى إيهام المسلمين بأشياء تخالف الحقيقة؟؟ وينبغى إذا أردتم الوصول إلى الحق أن تواجهوه مباشرة، لا أن تدوروا حوله بأساليب التلبيس والمغالطة والإيهام ؟

- ومن ذلك ما نريد أن ننتقل إليه من مقارنتكم بين عيسى ومحمد- عليهما السلام- وهى مقصدكم ومطلبكم من هذه الافتراءات له ، إننا لا نوافقكم على طريقة المقارنة بين الأنبياء بهذا الأسلوب الرخيص من المزايدة، لأن ديننا ينهانا عن ذلك، ولأن ديننا يأمرنا بالتأدب مع الأنبياء جميعاً، ولا يصح إسلام المسلم حتى يؤمن بالأنبياء جميعاً دون تفريق بينهم.

" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"(١)

"قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"(٢)

وقد علمنا رسولنا ﷺ ذلك فقال: " لا تفضلوا بعض الأنبياء على بعض"(٣)

وذلك لا يمنع أن الله هو الذى فضل بعض الأنبياء ببعض أفضاله، واختص بعضهم ببعض خصوصياته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فنحن هنا لا نجاريكم فى المقارنة، ولكننا نتبع كلامكم لنعقب عليه بالرد والإيضاح وتقويم المعوج وتجريد الحق من الباطل.

إنكم تعلمون يقيناً أن كتابنا الكريم يصف محمداً عليه الصلاة والسلام بأنه رسول الله وخاتم النبيين، وأن الله أرسل رسله جميعاً بدينه

---

(١) سورة البقرة ٢٨٥

(٢) سورة البقرة ١٣٦

(٣) مسند الإمام أحمد ابن حنبل ج ٣ ص ٤١ - دار إحياء بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م

الحق، وأن الرسالة التى جاء بها محمد ﷺ هى خاتم الرسالات وأنها مصدقة لكافة الرسالات السابقة التى حملها رسل الله، وأن من آمن به واتبعه فلا بد ان يؤمن بكل الأنبياء السابقين، لأنهم جميعاً يصدق بعضهم بعضاً.

فماذا تنكرون من ذلك؟ هل تنكرون انه خاتم الأنبياء؟ أم تنكرون نبوته أصلاً؟ إن كنتم تنكرون أنه خاتم الأنبياء فهل تعترفون بنبى أتى بعده؟ كلا إذن: فأنتم تنكرون نبوته أصلاً ، فلماذا لجأتم إلى المناقشة فى كونه خاتم الأنبياء؟

وإذا كنتم تستدلون على دعواكم فى إنكار نبوته بأن عيسى هو خاتم الأنبياء، فنحن لا نوافقكم ولا دليل لكم عليه، فمن أين جئتم به؟ هل قاله الله لكم، ام ذكره عيسى عليه السلام؟ أم هل ذكرته أنا جيلكم الأربعة؟ لا دليل عندكم على أن عيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء، لا من كلام الله؟ ولا من كلام عيسى عليه السلام، ولا من كتابكم المقدس الذى تؤمنون به.

وأما دليلنا: فكلام الله فى القرآن الذى نؤمن به حيث يقول: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين"[1] ولعل شعوركم بأنه لا دليل لكم هو الذى ألجأكم إلى هذا الأسلوب من المقارنة، لعلكم تجدون فيها ملجأ يقوى وجهة نظركم، فماذا وجدتم؟

أولاً: بالنظر إلى مرحلة الولادة[2]

وجدتم أن ولادة عيسى عليه السلام كانت معجزة وإنه لهذا نبى.

أما محمد عليه الصلاة والسلام فلم تكن فى ولادته معجزات ولذلك لا يصح التصديق بكونه نبياً.

آمنا وصدقنا بأن عيسى عليه السلام نبياً، وأن ولادته كانت شيئا اختصه الله به، وأن ولادة محمد ﷺ لم تكن كولادة عيسى عليه السلام، فهل يعنى ذلك أن يكون عيسى نبياً وأن يكون محمد غير نبي؟ وأن كل

---

(١) الأحزاب ٤٠ (م- ٣٦)

(٢) راجع: مجلة الأزهر- عدد ذى الحجة ١٣٩٨هـ- نوفمبر ١٩٧٨م- دكتور/ عبد الفتاح بركه ص ١٦٣٦-١٦٥٦ وعليه عولنا- بتصرف.

وراجع: النصرانية فى التاريخ والعقيدة - القسم الأول: فى التاريخ د/ الدسوقى عبد النبى الدسوقى ط أولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م دار الطباعة المحمدية- القاهرة.

وراجع: مجلة الدعوة المصرية فى عدد رمضان ١٣٩٨هـ- تحت عنوان "التبشير يتطاول على الإسلام والمسلمين"

من لم يولد مثل ولادة عيسى عليه السلام لا يعترف له بالنبوة؟ فعيسى إذن نبي ورسول، أما إبراهيم وموسى ويوسف وداود وبقية الأنبياء المذكورين فى كتابكم المقدس لا يصح أن تعترفوا لهم بالنبوة ولا بالرسالة، مثل محمد سواء بسواء، فهل ترون كتابكم المقدس كذب عليهم؟ ام أن مقياسكم لا يستقيم مع الحق ولا مع المنطق.

على أنكم تنكرون وقوع المعجزات التى يحكيها المسلمون عن ميلاد الرسول محمد ﷺ وتسمونها خرافات، وتحاولون إيهام المسلمين بأنكم سوف تكافئون من يجاريكم ويصدقكم فى اعتبارها خرافات، فتصفوه عندئذ بأنه من أذكياء المسلمين.

فلو أننا تجردنا من شعورنا الدينى، أنكرنا كتابكم كما تنكرون كتابنا، وقلنا لكم: إن القصة التى تحكونها عن ميلاد المسيح عليه السلام خرافة لا يقبلها العقل ولا يقبلها العلم، وأن المسيح الذكى لا يجهل أن هذه القصة تنافى كل القواعد والقوانين الطبيعية فماذا تقولون؟

ألم يقل اليهود مثل ذلك من قبل؟ وقد كانوا- بناء على كتابكم- يعيشون معهم ويعلمون أحوالهم وهم أدرى بهم: بل ماذا تقولون لو أننا تجردنا من شعورنا الدينى وقلنا لكم إن كتابكم الذى بأيديكم نفسه خرافة لا أصل له، وكل ما ورد فيه فهو خيالات وأقاصيص لا سند لها ولا دليل؟. بل ماذا تقولون لو قلنا لكم - بناء على ذلك - إن شخصية المسيح نفسها أسطورة تحتمل كثيرا من الشك؟

وكل ما يمكنكم ذكره وإيراده لإثبات ذلك لا يثبت تحت مجهر النقد العلمى والتاريخى، بل يعتريه الغموض والإبهام، وقد كتب فى ذلك كثير من العلماء والمحققين المسيحيين [1] والمسلمين.

فهل لديكم ما تعتمدون عليه فى الإجابة إلا من القرآن الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من عند الله؟. لذلك لجأتم فى إثبات هذه

---

(١) راجع: الله واحد أم ثالوث - محمد مجدى مرجان - ص ١٣٨- ١٣٩ ط دار الهنا للطباعة

وراجع: محمد الرسالة والرسول- نظمى لوقا ص ٦٥ - تقديم/ كمال الدين حسين ط دار الكتب الحديثة ١٩٩٥م

وراجع: النقد الأعلى للكتاب المقدس فى فكر الغرب وينابيعه الإسلامية د/ قنديل محمد قنديل من ص ١٣٩- ١٥١ ط أولى ١٤١٠هـ- ١٩٨٦م دار الطباعة المحمدية - مصر.

من لم يولد مثل ولادة عيسى عليه السلام لا يعترف له بالنبوة؟ فعيسى إذن نبي ورسول، أما إبراهيم وموسى ويوسف وداود وبقية الأنبياء المذكورين فى كتابكم المقدس لا يصح أن تعترفوا لهم بالنبوة ولا بالرسالة، مثل محمد سواء بسواء، فهل ترون كتابكم المقدس كذب عليهم؟ ام أن مقياسكم لا يستقيم مع الحق ولا مع المنطق.

على أنكم تنكرون وقوع المعجزات التى يحكيها المسلمون عن ميلاد الرسول محمد ﷺ وتسمونها خرافات، وتحاولون إيهام المسلمين بأنكم سوف تكافئون من يجاريكم ويصدقكم فى اعتبارها خرافات، فتصفوه عندئذ بأنه من أذكياء المسلمين.

فلو أننا تجردنا من شعورنا الدينى، أنكرنا كتابكم كما تنكرون كتابنا، وقلنا لكم: إن القصة التى تحكونها عن ميلاد المسيح عليه السلام خرافة لا يقبلها العقل ولا يقبلها العلم، وأن المسيح الذكى لا يجهل أن هذه القصة تنافى كل القواعد والقوانين الطبيعية فماذا تقولون؟

ألم يقل اليهود مثل ذلك من قبل؟ وقد كانوا- بناء على كتابكم- يعيشون معهم ويعلمون أحوالهم وهم أدرى بهم: بل ماذا تقولون لو أننا تجردنا من شعورنا الدينى وقلنا لكم إن كتابكم الذى بأيديكم نفسه خرافة لا أصل له، وكل ما ورد فيه فهو خيالات وأقاصيص لا سند لها ولا دليل؟. بل ماذا تقولون لو قلنا لكم - بناء على ذلك - إن شخصية المسيح نفسها أسطورة تحتمل كثيرا من الشك؟

وكل ما يمكنكم ذكره وإيراده لإثبات ذلك لا يثبت تحت مجهر النقد العلمى والتاريخى، بل يعتريه الغموض والإبهام، وقد كتب فى ذلك كثير من العلماء والمحققين المسيحيين [1] والمسلمين.

فهل لديكم ما تعتمدون عليه فى الإجابة إلا من القرآن الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من عند الله؟ لذلك لجأتم فى إثبات هذه

---

(١) راجع: الله واحد أم ثالوث - محمد مجدى مرجان - ص ١٣٨- ١٣٩ ط دار الهنا للطباعة

وراجع: محمد الرسالة والرسول- نظمى لوقا ص ٦٥ - تقديم/ كمال الدين حسين ط دار الكتب الحديثة ١٩٩٥م

وراجع: النقد الأعلى للكتاب المقدس فى فكر الغرب وينابيعه الإسلامية د/ قنديل محمد قنديل من ص ١٣٩- ١٥١ ط أولى ١٤١٠هـ- ١٩٨٦م دار الطباعة المحمدية - مصر.

المعجزة إلى القرآن الكريم استغلالا لعاطفة المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن، ولولا القرآن ما أمكنكم أن تصلوا إلى ما تريدون.

لكنكم - كما تقولون لا تقبلون القرآن، ومقتضى ذلك أنكم لا ترون فيه حجة لكم، فلماذا تحتجون به علينا؟؟ لا بد من أسس صحيحة لمثل هذا النقاش.

فإما أن تؤمنوا معنا بالقرآن كما نؤمن بكتابكم، وعندئذ يشرح القرآن لكم ما غمض عليكم من كتابكم ولا مناص لكم حينئذ من الإيمان بنبوة محمد ﷺ ، وانه خاتم الأنبياء.

وإما أن نرفض كتابكم كما ترفضون القرآن، خاصة وأنكم تعلمون أن القرآن يطلب منا أن لا ننخدع بكتابكم، لأنه محرف لا يوثق به ولا بأخباره، وعندئذ لا تكن لكم حجة فى إثبات ما تريدون إثباته من معجزة ميلاد عيسى عليه السلام ولا فى إثبات أصل لكتابكم، بل ولا فى إثبات وجود شخصية المسيح عليه السلام.

ومع ذلك فلو جاريناكم فى أن القرآن الكريم غير مقبول ولا مصدق وأنه من عند محمد ﷺ لا من الله ، فما الذى أعجز محمداً ﷺ عن أن ينسب لنفسه من المعجزات أكثر وأعظم مما نسب إلى عيسى وإلى غيره من الأنبياء عليهم السلام، خاصة وأن جهلة المسلمين- فيما تزعمون- يروون حوله ما تسمونه القصص الخرافية ويحبونها، اللهم إنه لم يكن يمنعه من ذلك مانع إلا أن يكون هذا الكتاب ملتزما بالصدق الذى جاء به من عند الله، وأنه لا يستطيع أن يفترى على الله الكذب.

ولو جاريناكم مرة أخرى فى أن القرآن الكريم غير مقول ولا مصدق، وإنه من عند محمد ﷺ ، فأين إنجيلكم الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام؟؟

إن أحضرتموه فنحن أول من نؤمن به ونحن مؤمنون به وإن لم نره، فما بالكم لو رأيناه؟؟ أما ما تسمونه بالإنجيل فليس إنجيل عيسى عليه السلام ولكنه - كما تقولون - إنجيل متى ويوحنا وغيرهما مما تدعون أنهم من الحواريين [1].

---

(١) راجع هذه القضية:

أ) التبشير والاستشراق خططا ومنهجاً وتطبيقا - أ.د/ عبد الله عبد الحى محمد ص ٦٧ - ٨٠ ط أولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . دار الطباعة المحمدية.

ب) النصرانية دراسة مقارنة - أ.د/ محمد رجب الشتيوى ص ١٣٥- ١٤٠ ط أولى - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م دار الطباعة المحمدية.

المعجزة إلى القرآن الكريم استغلالا لعاطفة المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن، ولولا القرآن ما أمكنكم أن تصلوا إلى ما تريدون.

لكنكم - كما تقولون لا تقبلون القرآن، ومقتضى ذلك أنكم لا ترون فيه حجة لكم، فلماذا تحتجون به علينا؟؟ لا بد من أسس صحيحة لمثل هذا النقاش.

فإما أن تؤمنوا معنا بالقرآن كما نؤمن بكتابكم، وعندئذ يشرح القرآن لكم ما غمض عليكم من كتابكم ولا مناص لكم حينئذ من الإيمان بنبوة محمد ﷺ ، وانه خاتم الأنبياء.

وإما أن نرفض كتابكم كما ترفضون القرآن، خاصة وأنكم تعلمون أن القرآن يطلب منا أن لا ننخدع بكتابكم، لأنه محرف لا يوثق به ولا بأخباره، وعندئذ لا تكن لكم حجة فى إثبات ما تريدون إثباته من معجزة ميلاد عيسى عليه السلام ولا فى إثبات أصل لكتابكم، بل ولا فى إثبات وجود شخصية المسيح عليه السلام.

ومع ذلك فلو جاريناكم فى أن القرآن الكريم غير مقبول ولا مصدق وأنه من عند محمد ﷺ لا من الله ، فما الذى أعجز محمداً ﷺ عن أن ينسب لنفسه من المعجزات أكثر وأعظم مما نسب إلى عيسى وإلى غيره من الأنبياء عليهم السلام، خاصة وأن جهلة المسلمين- فيما تزعمون- يروون حوله ما تسمونه القصص الخرافية ويحبونها، اللهم إنه لم يكن يمنعه من ذلك مانع إلا أن يكون هذا الكتاب ملتزما بالصدق الذى جاء به من عند الله، وأنه لا يستطيع أن يفترى على الله الكذب.

ولو جاريناكم مرة أخرى فى أن القرآن الكريم غير مقول ولا مصدق، وإنه من عند محمد ﷺ ، فأين إنجيلكم الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام؟؟

إن أحضرتموه فنحن أول من نؤمن به ونحن مؤمنون به وإن لم نره، فما بالكم لو رأيناه؟؟ أما ما تسمونه بالإنجيل فليس إنجيل عيسى عليه السلام ولكنه - كما تقولون - إنجيل متى ويوحنا وغيرهما مما تدعون أنهم من الحواريين[1].

---

(١) راجع هذه القضية:

أ) التبشير والاستشراق خططا ومنهجا وتطبيقا - أ.د/ عبد الله عبد الحى محمد ص ٦٧ - ٨٠ ط أولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . دار الطباعة المحمدية.

ب) النصرانية دراسة مقارنة - أ.د/ محمد رجب الشتيوى ص ١٣٥- ١٤٠ ط أولى - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م دار الطباعة المحمدية.

وقد تم نقل هذه الأناجيل بطريقة غير معروفه، وما عرف منها فهو غير موثوق به، وما تتقون به منها فقد تعرض خلالها للتحريف وسوء النقل، ثم تعرض بعد ذلك لسوء الفهم خلال الترجمات المختلفة إلى اللغات المختلفة.

ومقارنة يسيرة بين طبعات كتابكم المقدس المعاصرة تظهر هذا الاختلاف، فما بالكم لو قارنا هذه الطبعات والترجمات الحديثة بالترجمات السابقة عليها منذ عهد قريب ومنذ عهد بعيد.

ولو جاريناكم فى أن كلاً من القرآن والإنجيل قد اتفقا على معجزة ولادة عيسى عليه السلام، فما الفرق الذى تدعونه بين عيسى ومحمد عليهما السلام؟.

نعم ولد محمد ﷺ كسائر البشر من أب وأم، واختص عيسى عليه السلام بمعجزة ولادته من غير أب لكنه ولد - كذلك كسائر البشر، نعم كسائر البشر- يا معشر المبشرين، ألم يكن جنيناً فى رحم أنثى من بنات حواء؟ والرحم هو الوعاء العادى الذى يحمل فيه الجنين عادة؟

ألم ينزل عند ولادته من الطريق الطبيعى الذى ينزل منه سائر الأطفال؟

ألم يكن حينئذ لحما ودما كسائر البشر؟ ألم يكن محتاجا إلى عناية أمه وعطفها وحنانها، بل إلى التقام ثديها فى فمه عليه السلام؟؟ ألم يدرج فى المهد بين سواعد الحاضنات حتى استطاع أن يحبو، ثم حتى استقام عوده فنهض، ثم حتى اشتد عوده فمشى على الأرض كما يمشى سائر البشر؟؟؟

أما كونه ولد بدون أب فليس إلا معجزة من المعجزات التى يحدث مثلها لسائر الأنبياء، وليس من اللازم أن تكون معجزة نبى بعينها معجزة لغيره من الأنبياء، وإلا فهل كانت له عصا موسى؟ وأين هو من سليمان وقد سخرت له الريح تجرى بأمره، وحشر له جنوده من الجن والإنس والطير؟ وعلمه الله منطق الطير وآتاه من كل شئ؟

فهل يصح لذلك أن ننكر نبوة عيسى لأنه لم تحصل له هذه المعجزات؟ أو هل يصح أن ننكر نبوة موسى أو سليمان عليهما السلام لأنه لم يولد واحد منهما كما ولد عيسى عليه السلام بدون أب؟؟ وإذا كانت ولادته وخلقه بدون أب مدعاة عندكم لأفضليته، فآدم أولى بذلك منه، لأنه لم يولد من بشر أصلا بل خلق مباشرا بدون أب ولا أم، بل إن حواء

ج) مجلة الأزهر - د/ عبد الفتاح بركة ص ١٦٤١ مرجع سابق.

أولى منه بذلك لأنها لم تخلق من رحم أنثى، بل خلقت من ضلع آدم كما تعلمون.

على أن المفاضلة بين المعجزات لا تستتبع المفاضلة بين الأنبياء، لأن معجزة كل نبى إنما تاتى غالبا بحسب ما يحذقه قومه من العلم ومن شؤون الحياة، ولا تأتى بحسب قدر الأنبياء ومكانتهم عند الله إلا فى شئ يسير منها، كتكليم الله لموسى عليه السلام، وكالإسراء والمعراج لرسولنا محمد ﷺ.

على أن المفاضلة بين المعجزات- مرة أخرى - لا تصح، لأن معنى المعجزة أنها أمر يعجز عنه البشر، ولا يفعله إلا الله تعالى وحده، وتستوى فى هذا كل المعجزات - ما ظهر منها- فى أعينكم - كبيراً، وما ظهر منها - فى أعينكم - صغيراً.

أما ما يحيط بها من أسباب التكريم والتعظيم فهو معنى آخر يضاف إلى معنى المعجزات، وعلى ذلك فالمعجزات التى ذكرت لمولد محمد ﷺ كهزيمة جيش أبرهة وإبادته أمام مكة بسبب غير معروف، وكسقوط إيوان "طاق كسرى" دون سبب ظاهر، إن اعتبرتموها خرافة لا يصدقها إلا جهلة المسلمين، فإن علماء اليهود وأحبارهم وأذكياء هم - وهم أعرف بعيسى وقومهم منكم - ينكرون المعجزة التى تذكرونها عن ميلاد عيسى عليه السلام، ويقولون فيه وفى أمه عليهما السلام مالا نستحل ذكره، ولا يثبت لنا هذه المعجزة إلا القرآن الذى نؤمن به وحده والذى جاء به محمد ﷺ من عند الله، ولولا القرآن ما صدقناكم فى شئ مما تقولون، فإذا أنكرناه - كما تريدون أنكرنا قصة عيسى من أصلها، أو - على أقل تقدير- فعلنا معها ما فعلت اليهود، فهل ذلك ما تريدون؟ وماذا يبقى لكم بعد ذلك أيها المبشرون[1].

ثانيا: بالنظر إلى الناحية الفكرية أو المعارف التحصيلية - كما تقولون - التى ستظهر الفرق بين الرسولين، وجدناكم تبنونها على خرافة لا أصل لها فى عقل ولا دين. حيث تبنونها على تلك الأسطورة التى سيطرت عليكم، فأفسدت كل ما بنيتموه عليها من مذاهب فى دينكم، وجعلتكم بالتالى لا تؤقرون نبيا، ولا تحترمون رسولا، ولو كان ذلك النبى هو خاتمهم محمد ﷺ.

---

(١) النصرانية بين نبأ القرآن المجيد وخبر العهد الجديد. تاريخا وعقيدة د/ جمال سعد محمود بتصرف من ص ٤٢ -٤٦ ط أولى ١٤١٦هـ-١٩٩٧م دار الطباعة المحمدية - مصر.

لذلك تقولون إن محمدا قد ورث من البشر طبيعتهم الآثمة، بسبب ولادته كسائر البشر، أما عيسى فقد ورث طبيعة طاهرة لا غبار عليها، لأنه ولد بطريقة تخالف سائر البشر.

وبادئ ذي بدء نقرر-مرة أخرى - أن ولادة عيسى من غير أب لا تنفى أنه ولد كسائر البشر من بطن أنثى، وجرت عليه القوانين الطبيعية التى تجرى على سائر البشر كما أشرنا إلى ذلك.

وإذا كانت طبيعة البشر آثمة وكان هذا الإثم متوارثا بين البشر، لا يفلت منه إنسان- كما تقولون - فمن أين ورث عيسى عليه السلام طبيعته الطاهرة التى لا غبار عليها؟؟

هل ورثها من أمه مريم؟.

لقد كانت بنتاً من بنات حواء وآدم، وأيا كان مذهبكم فى شأنها، فمن الثابت أنها ولدت ولادة طبيعية من أب وأم كسائر البشر، وإنها لذلك لا بد أن تشملها نظريتكم فى وراثة الخطيئة، وأنها لابد أن تشملها هذه النظرية كذلك فى توريث الخطيئة لولدها وابن بطنها عيسى.

فكيف استثنيتم عيسى عليه السلام من ذلك؟

إن قلتم أنه ورث الطهارة من الخالق، فكيف ورث آدم الإثم؟

ولم يكن قبله بشر يورثه الخطيئة؟ بل كان صنعة الخالق وحده مباشرة، هل ورث آدم الإثم من خالقه ؟ تعالى الله أم ورث منه الطهارة؟ فكيف أورث الخطيئة لأبنائه؟ إن فكرة الخطيئة المتوارثة لا أصل لها؟ وكل ما بنيتم عليها أفكار لا أساس لها[1]، وعلى ذلك فعيسى ومحمد كلاهما نبيان رسولان مكرمان من الله عز وجل أعظم تكريم كسائر أنبياء الله السابقين.

ولا يصح بحال أن ننسب إلى واحد منهما إثما ولا إلى نبي قبلهما، وقد قال لكم عيسى عليه السلام فى شأن الزانية: " من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر" يوحنا (٨-٧) فكيف بكم ترمون الحجارة على الأنبياء البررة، وتنسبون إليهم الإثم والخطيئة؟؟.

---

(١) من يرد مزيدا من التفصيل فليراجع كتاب التثليث فى المرآة. مولانا كوثر نيازى - ترجمة عبد الرحمن ناصر المدنى ط ١٩٧٣م. من ص ٢٥- ٣٣.

راجع: مجلة الأزهر - عدد ذى الحجة ١٣٩٨هـ ص ١٦٥٤.

راجع كتاب: قصة موت المسيح وقيامه فى ميدان النقد العلمى والكتب المقدسة أ.د/ محمد أبو الغيط الفرت ص ١٧٩ تحت عنوان " خطيئة آدم شخصية لا توارثية" ط أولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. دار الطباعة المحمدية.

أما دعواكم أن القرآن يثبت طهارة عيسى دون غيره من الأنبياء عليهم السلام، فأنتم تعلمون ماذا تفترى اليهود على عيسى وأمه عليه السلام، وأن مواجهة اليهود وما يفترونه عليهما لا تكون إلا لنفى افتراءاتهم وتبرئة عيسى وأمه من اتهاماتهم وإثبات طهارته، وتأكيد هذه الطهارة، لذلك أثبت الله له ولأمه الطهارة والعفة والنقاء، واختصه أكثر من سائر الأنبياء هو وأمه بالنص على طهارته نفياً للتهمة عنه.

"إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" آل عمران: ٤٥.

ونحن نعلم أن ما يثبت لنبى من خصائص النبوة وصفاتها يثبت مثله لأخوته من الأنبياء، فلم يكن عيسى وحده وجيها عند الله، ولا وحده مقرباً من الله، بل واحداً من المقربين بنص الآية التى تحتجون بها.

وليس من اللازم أن يذكر كل نبى بهذه الصفة، بل يكفى أن يوصف بها نبى، لنعرف أنها صفة الأنبياء جميعا، لأنها من لوازم النبوة "وكيف يكون نبيا، إذا لم يكن وجيها عند الله ومن المقربين؟

وهذا موسى عليه السلام يصفه الله بمثل ذلك من البراءة والطهر والوجاهة فيقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً"الأحزاب: ٦٩".

ونحن نستشهد لكم بالقرآن، لأنكم تجادلوننا به. كأننا ننكر براءة عيسى وطهارته؛ ونحن أشد غيرة عليه وعلى مقامه الرفيع بحكم ما يأمرنا به القرآن، لكننا كذلك نغار على بقية الأنبياء، ولا ننسب إليهم ما ينسبه كلامكم من الإثم والخطيئة، وذلك بحكم ما يأمرنا به كتابنا، فإن كان كتابكم الذى تجدونه بين أيديكم لا يأمركم بذلك، فعسى أن يكون هذا الأمر قد حرف بين ما حرف، أو ضاع بين ما ضاع من وصايا النبى عيسى عليه السلام.

أما ما تستشهدون به بعد ذلك على كون محمد ﷺ كان آثما؛ مثله فى ذلك مثل بقية البشر - بناء على نظريتكم الأسطورية-

من قوله تعالى فى سورة الضحى الآية السابعة "ووجدك ضالاً فهدى" وفى سورة النصر الآية الثالثة "فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا" وفى سورة الفتح الآية الثانية "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" .. فأنتم فى هذا الاستشهاد بين أمرين، إما أنكم لا تتقنون فهم اللغة العربية ففهمتم منها ما فهمتم من المعانى الفاسدة بحسن نية، أو قرأتم عنها فى ترجمة رديئة غير صحيحة، فلم تدركوا الحقيقة..

وإما أنكم تتقنون اللغة العربية، وتعرفون حقيقة المعنى المراد"ولكنكم تتلاعبون بالألفاظ، وتستغلون عدم معرفة بعض المسلمين باللغة العربية لتضليلهم وخداعهم وإيهامهم أن هذه معانى قرآنهم ونحن نحب أن نحسن الظن بكم، ونشرح لكم ما يبدو أنكم لم تفهموه من هذه الآيات البينات، أو نصحح ما ترجم منها ترجمة رديئة فاسدة.

أما ضالاً فى قوله تعالى : "ووجدك ضالاً فهدى" فأصل الضلال فى استعمال اللغة العربية من فقدان الطريق والحيرة فى معرفته؛ وهذا المعنى هو المناسب تماما للكلمة المقابلة فى الآية نفسها، وهى قوله تعالى "فهدى" فأى إثم يمكن أن ينسب لإنسان لم يكن يعرف طريق الحق أو كان فى حيرة من أمره فهداه الله !؟.

أما أنه لم يكن يعرف طريق الله، أو أنه كان فى حيرة من أمره فلأنه ولد بين قوم مشركين، يعبدون الأصنام. وكان العالم كله يدين بأديان مختلفة لبعضها أصل صحيح، لكنه خلط بغيره من الباطل كاليهودية والنصرانية، وليس لبعضها أصل كالوثنية والمجوسية وغيرها، فطريق الحق لم يكن واضحا إذن، وكان الناس جميعا يعيشون فى هذا الضلال، لكنهم لا يشعرون[1].

أما هو ﷺ فكان يتوق إلى معرفة الله، ولهذا كان يتحنث فى غار حراء حتى فجأة الوحى وهداه الله [2] فليس فى هذه الآية ما يدل من قريب أو بعيد على ارتكاب الخطيئة أو الوقوع فى إثم.

بقى الاستغفار فى بقية الآيات، وهو الذى تظنون أنه لا يكون إلا من إثم ، وليس كذلك.

فالاستغفار فى الإسلام قد يكون من إثم، وقد يكون محض تعبد لله، كما نطلب من الله أن يهدنا الصراط المستقيم- كما فى سورة الفاتحة ونحن نعتقد أننا على الصراط المستقيم، وهو صراط الإسلام فذلك من باب التعبد وطلب دوام الهداية.

والاستغفار - على ذلك - من باب التعبد واستدامة الطهارة على أن قوله تعالى "واستغفر لذنبك" لا يستلزم أن يكون محمد ﷺ مذنبا، لأن المصدر فى اللغة العربية يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل:

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم- الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر أ.د/ محمد سيد طنطاوى- المجلد الخامس عشر ص ٦٠١، ٣. ط ٣ مطبعة السعادة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٢) صحيح البخارى ج ١ - باب بدء الوحى ص ٦ - ٨ المطبعة الخيرية ط أولى.

فتقول: (عجبت من ضربك زيد) فالضرب مصدر مضاف إلى الكاف، وهى ضمير الفاعل، فتكون أنت الضارب وزيد المضروب وتقول: "عجبت من ضربك زيد" فالضرب مصدر مضاف إلى الكاف وهى ضمير المفعول، فتكون أنت المضروب وزيد الضارب، فذنبك هنا فى هذه الآية من إضافة المصدر إلى مفعوله لا إلى فاعله.

ولهذا شاهد فى حديثنا العادى حيث تقول لمن ظلمك. فانتقم الله منه: هذا ذنبى، أى هذا الذى أصابك قد أصابك بسبب الذنب الذى ارتكبته فى حقى.

فكيف قاوم النبى ﷺ من ارتكبوا ذنباً فى حقه؟

لقد أمره الله بالصفح عنهم، والاستغفار لهم، وسياق الآية يساعد على ذلك حيث تقول "فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك" فقد أمره بالصبر على أذاهم؛ ثم أمره بالاستغفار لهم، وذلك بطلب هدايته وطلب المغفرة لمن أسلم منهم، ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى فى آية أخرى "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم"[1] والصلاة عليهم معناها: الدعاء لهم، وقوله "فاعف عنهم واستغفر لهم"[2]

والأمر كذلك فى قوله تعالى فى صورة النصر" فسبح بحمد ربك واستغفره" وذلك عند فتح مكة التى أذاه أهلها وأخرجوه من بلده، وفى قوله فى سورة الفتح: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" حيث وردت فى مناسبة الفتح كذلك. فالمراد فى هذه الآيات: أمته ﷺ وهى مخاطبة فى شخصه، كما جرت العادة فى كثير من ألوان الخطاب، أن يوجه إلى رئيس القوم أو الأمة أو الدولة أو غير ذلك[3]

بالإضافة إلى معان دقيقة أخرى نشير إلى بعضها ولا يضيرنا إذا لم تستطيعوا إدراكها" لأن ما سبق إيضاحه يكفيكم: منها: أن الرسول وهو المثل والقدوة والأسوة إذ كان مأموراً بالاستغفار مع عصمته ونزاهته وطهارته وبراءته، فأمته أولى بأن تسارع إلى الاستغفار، لعلمنا بمدى تقصيرنا وضعفنا وقلة اجتهادنا بالنسبة إلى رسول الله ﷺ ، ومنها ما تشعره هذه الآيات من تكريم الله للرسول ﷺ ، إذ ليس معناه قد ارتكب

---

(١) التوبة (١٠٣)

(٢) آل عمران :(١٥٩)

(٣) التفسيرة الوسيط للقرآن الكريم أ.د/ محمد سيد طنطاوى - المجلد الثانى عشر ص٣٩٠ مرجع سابق.

الذنب فعلاً، وإنما معناه أنه حتى لو ارتكب الذنب - وهو فرض غير واقع - فإن الله يغفر لما له من المنزلة والمكانة، وذلك على غرار قوله ﷺ : " لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم " فليس معناه أن الله أباح لهم ارتكاب الذنوب وارتكاب المحرمات، حاشي وكلا، ولكنه تكريم لهم أي تكريم، يدل على منزلتهم عند الله، حتى لو كان يطلب المغفرة فإن الله يغفر لهم بسابق محبته وفضله. إلى غير ذلك من المعاني الدقيقة التى لا تتم بمثل هذه الأساليب والتى لا نرى أن نطيل عليكم بها.

ثالثا: أما النقطة الثالثة وهى موضوع المعجزات .

فأنتم تدعون أنكم بالتعمق والدراسة تكتشفون أن شق القمر وعدة معجزات أخري (؟) لم تذكروها كتبت بعد قرون (؟) من وفاة الرسول ﷺ ولذلك لا تستطيعون تصديقها، لأن القصة تصدق إذا كانت قريبة العهد وكان رواتها أشخاصاً معاصرين لها.

ونحن نوافقكم على هذا الشرط، فهو يفيدنا، ولا نريد أن نقول: "إنه فى غير صالحكم - لأن لذلك قصة أخرى، نعم نوافقكم على هذا الشرط، ودعواكم أن معجزة القمر قد كتبت قصتها بعد قرون دعوى غير صحيحة، لأن شق القمر مذكور فى القرآن فى سورة تسمى باسمه وهى سورة القمر وفى أول آية منها حيث تقول: "اقتربت الساعة وانشق القمر".

فهل دلتكم دراستكم المتعمقة أن القرآن قد ابتدعت روايته بعد ١٥٠ سنة؟ أو بعد ٢٥ سنة.

إذن: فماذا كان محمد يتلو على الناس، وماذا كانت رسالته غير القرآن؟

لقد كانت هذه السورة تتلى بين الناس منذ عهد الرسول محمد ﷺ، ولا تزال، ولم يستطع أحد لا من المسلمين ولا من غيرهم أن ينكروا صدقها، فماذا تريدون إثباتاً ومعاصرة أكثر من ذلك ؟

أما المعجزات الأخرى التى تشيرون إليها فإنكم لم تذكروها لنبى إن كانت قد رويت منذ عهد رسول ﷺ وعلى لسان من عاصرها، أو ابتدعت من بعده، لهذا لا نستطيع الكلام عن أمر تخفونه ولا تزيدون الحديث فيه صراحة، ترى هل تفعلون ذلك قصداً، وتلبيساً على المسلمين، كأنكم تعلمون من دينهم أكثر مما يعلمون؟

أم دعواكم أن محمداً قال بنفسه إنه لم يقم بمعجزات، وأن القرآن قد أجاب الكفار حين طلبوا الدليل بأن الله لا يحتاج إلى دليل، وذكرتم فى

ذلك آيتين هما قوله تعالى: "وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ"(١)

وقوله تعالى: "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ"(٢) فمن أين أتيتم بإن محمدا قال بنفسه إنه لم يقم بمعجزات؟ وهذا لم يرد عنه؟ إن كنتم فهمتم هذا المعنى. من هاتين الآيتين فقد بينتم مرة أخرى أنكم لا تفهمون اللغة العربية، أو أن الآيتين ترجمتا لكم ترجمة رديئة فاسدة، وذلك مع إحسان الظن بكم مرة أخرى ذلك لأن هاتين الأيتين تدلان على عدم الإستجابة لطلب الكفار - فى مناسبتها - ولا تدلان على عدم وقوع المعجزات مطلقاً.

أما عدم الاستجابة لطلباتهم، فذلك لتعنتهم، وعدم رغبتهم فى الوصول إلى الحق، بل وقع الطلب منهم موقع اللجاجة والعناد، ويمكن أن نسرد عليكم مصداق ذلك من سورة الإسراء التى استشهد بها، لتتبينوا أن المعجزة كانت قائمة ماثلة أمامهم فعلا ولكنهم كانوا يتعنتون ويجادلون بالباطل.

يقول الله تعالى: "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا،وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا،وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا،أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا،أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً،أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً"(٣)

فهل يطلبون بنزول السماء عليهم كسفاً معجزة؟ أو يطلبون الهلاك؟ وهل يطلبون بقولهم "أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه معجزة ؟؟ أو يطلبون مجالا للمناقشة والجدل العقيم دون إيمان ولا تصديق؟(٤)

---

(١) العنكبوت ٥٠
(٢) الإسراء ٥٩
(٣) الإسراء : (٨٨ - ٩٣)
(٤) راجع كتابنا: دراسات فى الاستشراق ورد شبه المستشرق حول الإسلام ص ٣٠١ - ٢١٣ - ط أولى

ولقد وصل بهم العتو والطغيان واللجاجة إلى هذا الحد الذى يرويه القرآن عنهم فيقول: "وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"(١).

فهل تحبون - أيها المستشرقون - أن يحقق الله لهم هذه المعجزات؟؟ أو أن ما فعله الله من ردهم وعدم الاستجابة لهم كان رحمة منه وحلما.

بقى أن نقول لكم إن المعجزات التى ذكر تموها للمسيح عليه السلام معجزات مادية فحسب، وليست بأعجب من أمثالها من معجزات الأنبياء السابقين، التى انتهت بانتهائهم، أنتم تعرفون منها ما تعرفون، ولا بأعجب من أمثالها من معجزات رسولنا محمد ﷺ ، كحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه،وتكثير الماء، وتكثير الطعام،وإبراء المرضى، والإنباء بالغيب، كل ذلك فى أحوال كثيرة ليس هنا مجال سردها وكلها ثابتة، وبالطرق الصحيحة، وبالشرط الذى اشترطتموه لتصديق المعجزة من كون رواتها من المعاصرين لها.

أما المعجزة التى لا تدانيها معجزة، والتى تتقاصر دونها سائر المعجزات السابقة فإنها معجزة القرآن، لأنه معجزة ماثله تشهد لصاحبها أبد الدهر، ولقد انتهت كل المعجزات المادية بانتهاء أصحابها، أما معجزة القرآن فباقية دائمة لم تنقطع، وستظل محفوظة بحفظ الله إلى أن يشاء الله مصداقاً لقوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"(٢)

وإذا كان عيسى قد رفع إلى الله فقد رفع كتابه أيضا، أما كتاب محمد ﷺ فلم يمت من بعده ولا توجد معجزة لنبى من الأنبياء- بما فيهم عيسى عليه السلام- هى فى الوقت عينه رسالته التى أمر بتبليغها سوى القرآن، المعجزة الكبرى لنبينا عليه الصلاة والسلام، فرسالته ﷺ تحمل فى ذاتها معجزاتها وبرهانها.

كما بقى أن نقول لكم إنكم تدعون أن المعجزات التى قام بها عيسى عليه السلام قد قام بها باسمه وبقدرته ووفقاً للرب، وذلك بناء على ما تدعونه من كونه شريكاً لأبيه فى الألوهية - أما نحن المسلمون فنقول ونؤمن بهذا الذى نقول إنه " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن عيسى

---

(١) الأنفال ٣٢.
(٢) الحجر : (٩)

ومحمداً من عباده المكرمين ورسله المقربين، وأن كلا منهما قام بما قام به من معجزات باسم الله تعالى وبقدرته وحده.

وهذا معنى قوله: "قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ"[١]

وقوله: "قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً"[٢]

رابعاً: أما عن النقطة الرابعة:

فهى عن الموت، فقد مات محمد كسائر البشر" ولد كسائر البشر ومات كسائر البشر" ولد بمكة ومات بالمدينة ودفن بعد موته، ونحن نؤمن بذلك، فماذا تعتقدون أنتم بالنسبة لعيسى؟

تعتقدون أنه مات، وأن الرومان صلبوه حياً حتى مات بعد ست ساعات ثم وضعوا جسده فى المقبرة، نعم مات محمد ﷺ كسائر البشر، فهل مات عيسى فى اعتقادكم مثل سائر البشر، أو أن ميتته التى تعتقدونها كانت من أبشع ميتات البشر؟ وهل تتناسب هذه الميتة البشعة القاسية الوحشية - التى تعتقدون أنه قاساها- مع ميلاده وما كان فيه من تكريم؟ وكيف تتصورون أن يكرمه الله بالمعجزات البينات الخالدات عند ميلاده ثم يسلمه للموت على هذه الصورة المذرية المهينة الحقيرة[٣]

الا نعم ما تروون عن ميلاده، وبئس ما تنسبونه إليه عند وفاته.

وما أكرم ما وصف الله به ساعات وجوده الأخيرة على الأرض، وذلك فى القرآن الكريم الذى لا تقبلونه مع تكريمه للمسيح عيسى عليه السلام.

يقول الله تعالى: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً"[٤] ويقول: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

---

(١) العنكبوت: ٥٠

(٢) الإسراء: ٩٣

(٣) راجع:معجزات المسيح عليه السلام فى كتاب:التثليث فى المرآة من ص ٤٥- ٥١.
راجع: النصرانية فى التاريخ والعقيدة - القسم الأول.
أ.د/ الدسوقى عبد النبى الدسوقى ص ٩٩ط أولى ١٤١٦ه - ١٩٩٦م. دار الطباعة المحمدية.
وراجع: منحة القريب المجيب فى الرد على عباد الصليب الشيخ/ محمود بن حمد بن ناصر آل معمر ص ٢٣٤- ط دار التثقيف للنشر والتأليف- السعودية.

(٤) النساء: ١٥٨ - ١٥٧

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"[١].

فهذه المنزلة الكريمة التى نالها من الله فى أخريات أيامه على هذه الأرض هى التى تتناسب مع المنزلة الكريمة التى أعدها الله له فى معجزة ميلاده[٢]. أما دعواكم بقتله مصلوبا مهجوراً لا عون له... ولا سند ولا مدافع، وقد تنكر له حتى حواريوه، وتلاميذه، فأمر لا يثبت على النقد وليس عليه أى دليل، فما بالكم بدعواكم الأخرى ذات الطابع الأسطورى الغريب عن خروج المسيح من قبره، وظهوره لعدة أشخاص.

ويكفى أن تقرؤا القصة عند كل من الإنجيليين الأربعة- لتروا مدى التضارب والتعارض فى رواية هذه القصة ... وكيف أنكره حواريوه الذين كانوا يعرفونه معرفة تامة، فلم يعرفوه حينئذ، علماً بأنه لم يره أحد يخرج من قبره، ولم يره أحد يرفع إلى السماء، ولم يره أحد يجلس عن يمين الله كما تروى هذه الأناجيل، فكيف يمكن أن يصدق هذه الأقاصيص؟.

اللهم إن لدينا خبراً صادقاً - لأنه من عند الله - هو الذى أخبرنا بالحق، وأن ما قالوه عن قتله وصلبه لا أصل له، وإنما هى ظنون وشبه وأوهام، " وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيماً" [٣]

فكل ما لديكم من هذه الروايات المتعارضة ليست إلا اتباعا للظن، أما القول الحق الذى يقبله العقل ولا يختلف فيه فهو ما جاء به القرآن الكريم فى هذه الآية الفاصلة.

---

(١) آل عمران : ٥٥

(٢) راجع (١) قصة موت المسيح وقيامه فى ميزان النقد العلمى والكتب المقدسة..
أ.د / محمد أبو الغيط الفرت - ص ٤٥ الفصل الثانى.
(ب) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية - المهندس/ أحمد عبد الوهاب ص ٢٩١ مكتبة وهبة.

(٣) النساء : ١٥٧- ١٥٨
راجع: دراسات فى المسيحية أ. د. محمود يوسف كريت.....
راجع: عقائد المسيحية بين وحى السماء ووضع البشرية ص ١٨٩- د/ أحمد فهمى على محمد - ط أولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م - دار الطباعة المحمدية - مصر.

ولقد كانت هذه القصة الأسطورية الخيالية أساساً لكم بنيتهم عليها عقيدة الفداء، وهى عقيدة لا أصل لها عند الأنبياء السابقين، ولا تستقيم مع نفسها فى التفكير المنطقى السليم ...

ولقد شعرتم أنتم بضعف هذه القصة فأردتم أن تقطعوا الطريق على من يشك فيها قائلين: وقد يتساءل البعض لماذا مات عيسى فى حين أن ولادته كانت معجزة، وأنه كان طاهراً، وأنه كان يقوم بالمعجزات؟؟

ونحن نتم لكم السؤال فنقول:

لماذا مات عيسى هذه الميتة - فى زعمكم - وهى بشعة مهينة؟ فى حين كانت ولادته محفوفة بمظاهر العناية والتكريم؟

ولماذا مات عيسى هذه الميتة القاسية مع قدرته - فى زعمكم - على القيام بنفسه بالمعجزات؟؟ ولماذا لم يغادر الصليب علانية أمام الجمهور - ولو بعد صلبه المحتوم فى زعمكم - لتكون معجزة بارزة ظاهرة للناس؟[1]

ولماذا لم يغادر قبره علانية أمام الناس وترك ملكين - فى زعمكم - أمام القبر ليخبرا المرأتين بخروجه دون أن يرياه؟

وكيف ظهر حينئذ للمرأتين فلم تعرفاه، مع أنه كان صاحب فضل عليهما وأنه أجرى عليهما معجزاته؟؟

وكيف ظهر - فى زعمكم أمام ٥٠٠ شخص مجتمعين مع أن حوارييه الأحد عشر أنكروه وشكوا فيه، ولم يعرفوه بشخصه حتى أراهم يديه وجنبه[2]؟

بل خافوا منه وفزعوا ولم يستجيبوا له حتى وبخهم، وفى كل مرة من المرات الثلاث التى ظهر فيها - فى زعمكم - لم يكن أحد من أتباعه وتلاميذه وحوارييه يعرفه إلا بعد أن يعرف لهم نفسه، أو يخيل لهم فى أنفسهم أنه هو الرب كما تقولون؟؟..

ثم إنكم أجبتم عن سؤالكم - الذى أردتم به صرف الأنظار عن حقيقة القصة الأسطورية بأن عيسى كان طاهراً - ونحن نؤمن بذلك - ولكنكم تقولون: بما أن الموت هو جزاء كل خطيئة فقد أخذ عيسى المسيح خطايا البشرية كلها ودفع جزاء هذه الخطايا، ولهذا مات عيسى.

فها أنتم تقولون إن عيسى عليه السلام قد مات، فلماذا تنكرون على محمد ﷺ أن يموت؟

---

(١) فلسفة الغفران - عوض سمعان ص ١٦٠ ط - المطبعة التجارية - القاهرة.

(٢) يوحنا ٢٠ : ٢٠ ، متى ٢٨: ١٧.

ومن قال لكم إن الموت هو جزاء كل خطيئة؟ وإذا كان عيسى قد مات ليحمل خطايا البشرية وينقذ المؤمنين به فلماذا يموتون هم أيضاً؟؟ وقد مات عيسى من أجلهم ومن أجل إنقاذهم؟؟ ومن قال لكم إن الله لا يغفر الخطايا؟ ولو كان جزاؤها الموت؟

وكيف أخذ عيسى خطايا البشرية كلها؟ بل كيف أخذ عيسى خطيئة واحدة من فرد واحد من أفراد البشر؟.

هل أخذها فأصبحت خطيئته هو حتى تدنس بها واستحق عليها العقوبة، وهل أصبح مرتكبها الأصلى طاهراً بريئاً منها؟؟..

وكيف يصح فى منطقكم أن يكون مرتكب الخطيئة الأصلى طاهراً،وأن يتلوث بهذه الخطيئة من لم يرتكبها؟[1]

أم يظل عيسى عليه السلام مع تحمله لهذه الخطيئة بريئاً؟

فأين يقع إثم هذه الخطيئة؟ على عيسى وهو طاهر برئ، أو على مرتكبها وقد خلصتموه منها؟ أو أنها لا تقع على واحد منهما مع أنها وقعت فعلاً؟؟

إن المشكلات من وراء هذه الأسطورة كثيرة ولا حل لها، والوضع المنطقى الصحيح هو ما يذكره القرآن،وأنه لا يحمل الخطيئة إلا صاحبها ولا يغفرها إلا الله وحده إن شاء (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[2] (ومن يغفر الذنوب إلا الله)[3] (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[4].

وإذا كانت المسألة تدور عندكم بين العدل فى أخذ الخاطئ بخطيئته، والرحمة فى التخفيف عن الخاطئ فهل تنحل المشكلة بأن يتحمل عيسى خطايا البشرية أم تزداد تعقيداً؟؟ هل يتحقق العدل وتتحقق الرحمة بذلك؟؟

---

(١) راجع: الإنجيل والصليب - عبد الأحد داود الأشورى العراقى ص ٦، ص ٧ ط: ١٣٥١هـ - القاهرة.

وراجع: إبطال دعوى صلب المسيح من الإنجيل من كتاب: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء.

أ.د/ رؤوف شلبى من ص ١٩٢: ص ٢٠٥ ط أولى سنة ١٣٩٤هـ - "مكتبة الأزهر".

(٢) الأنعام ١٦٤، الإسراء : ١٥ ، فاطر : ١٨، الزمر : ٧.

(٣) آل عمران ١٣٥

(٤) النساء ٤٨

هل يتحقق العدل بترك المذنبين دون عقاب؟ وهل يتحقق العدل بأن يتحمل الطاهر البرىء ما يستحقه المذنبون من عقاب؟..

وهل تتحقق الرحمة مع ذلك؟ وهل تتحقق الرحمة بترك الطاهر البرىء يقاسى الذل والهوان والعذاب والآلام على الصليب!؟ فى حين يتمتع المذنبون الحقيقيون ويتنعمون !

بعد ذلك تصبح تعقيباتكم غير ذات موضوع، فقد اتضح لكم بطلان كل ما قد تم من أسباب للخلاف والتفضيل.

فتعقيبكم بأن محمداً قد اعترف بأنه آثم قد ظهر لكم أنه لم يكن كذلك، وأنه كان طاهراً مطهراً كأخيه عيسى، وأنه كان مع ذلك متواضعاً لعظمة الله حين كان يستغفره تعبداً ورحمة بأمته، وإلا فأين هو اعترافه الذى تزعمون وأى إثم ارتكبه فيما تظنون!؟

وتعقيبكم بأنه تزوج عدة مرات وكانت له عدة زوجات فى وقت واحد فما هو الإثم فى ذلك؟ هل خالف فى ذلك ربه؟ أم خالف كنيستكم؟.

أما مخالفة كنيستكم؛ فإننا لسنا تابعين لها كما تعلمون، وأما مخالفة الله سبحانه وتعالى فلم تقع منه مرة واحدة بل كان زواجه ممن تزوج بهن بأمر الله وإذنه حتى صدر إليه الأمر الإلهى بقوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد)[1]

والإثم عندنا هو مخالفة الله وحده، ولم تقع منه ﷺ هذه المخالفة قط.

أما مخالفة الكنيسة وكهانتها فيما لم يأذن به الله فليس إثماً عندنا يا مشعر المبشرين والمستشرقين.

وتعقيبكم بأنه تزوج السيدة زينب التى طلقها زيد، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتبناه، فقد كان ذلك بأمر الله إبطالا لعادة التبنى التى كانت شائعة فى الجاهلية، وذلك على عادة الإسلام فى إحقاق الحق ووضع كل شئ موضعه الصحيح، إذ كيف يقوم التبنى - وهو ادعاء - مقام البنوة الصحيحة!؟

(١) الأحزاب ٥٢، راجع الفصل العشرين من كتابنا: الإعلام بنقض ما جاء فى كتاب مقالة فى الإسلام.. ففيه شفاء الغليل.

وقصة ذلك مكررة ومعادة، كثيراً ما تحدث عنها إخوانكم من المبشرين من باب التشويش والغمز واللمز، وها أنتم تعيدون القصة مع وضوح الحق فيها ومعرفتكم به.[1]

وتعقيبكم بأن محمداً قد تسبب فى قتل عدة أشخاص!! وسبحان الله!! إن قلب الحقائق أمر لا يليق، ذلك لأن الذين قتلوا بسبب الدعوة الإسلامية أحد صنفين: صنف حاربها وحارب الرسول صلى الله عليه وسلم، فأصبح لزاماً على المسلمين أن يحاربوه دفاعاً عن الرسول وعن دعوته، فإذا دخل أحدهم المعركة محارباً لله ورسوله فقتل، هل يكون محمد هو السبب فى ذلك أو يكون هو الذى تسبب فى ذلك بعناده وعدوانه؟..

أو كنتم - معشر المبشرين - تريدون أن يوقف محمد دعوته ويعصى ربه حتى لا يقتل مثل هذا الكافر الأثيم؟

والصنف الثانى: هم شهداء المسلمين الذين قتلوا فى المعركة مع أعداء الله ورسوله، وكان قتلهم شرفاً وكرامة لهم، لأنهم ثبتوا بالصدق ودافعوا عن الحق ولم يهجروا رسولهم عند الشدائد، ولم يسلموه لأعدائه كما فعل غيرهم من أتباع الأنبياء كما تقولون..

وإذا كان محمد قد تسبب - فى زعمكم - فى قتل عدة أشخاص بسبب عدوانهم، فماذا تقولون فى عيسى وقد ترك قومه - فى زعمكم - بين صنفين - صنف يقتلونه ويصلبونه، وصنف يهملونه ويهجرونه ويسلمونه؟؟.

ولا شرف لواحد من الصنفين فيما فعلوه، ألم يكن قادراً على إنقاذ نفسه من أيديهم حتى لا يقعوا جميعاً فى هذه الجرائم المنكرة؟ ألم يكن سبباً - بتركه لهم يفعلون ما فعلوه - فى استحقاقهم العذاب الأبدى؟.

أم أنكم ترون فى فعلتهم هذه شرفاً ومجداً وفخاراً؟؟.

ومن الذى سيقدم نفسه فداء لهم ولذريتهم من بعدهم؟

وقد قتلوا ربهم وصلبوه؟؟ وهجره الباقون وأسلموه؟؟ كما تزعمون، وهى جرائم وخطايا لا تقارن بها خطيئة آدم فى جنة عدن.

فهل جاءكم عيسى لينقذكم كما تقولون وكما نقول؟ أو جاءكم عيسى لتقتلوه وتصلبوه وتسلموه كما تقولون.

(١) راجع كتابنا: دراسات فى الاستشراق وردشبه المستشرقين حول الإسلام - الفصل العاشر - ص ٢٢٦..

وتعقيبكم بقولكم: كيف يستطيع المذنب أن ينقذكم من ذنوبكم؟

هل من الممكن للأعمى أن يقوم الأعمى؟ إن الذى لم يخطئ هو الذى يستطيع أن ينقذكم من جراء ذنوبكم، وهذا مبنى على فهم خاطئ لمعنى الإنقاذ من الذنوب، وقعتم فيه بسبب عقيدتكم فى أسطورة الفداء.

وقد صور لكم هذا الفهم أن الإنسان مذنب حتى لو لم يرتكب الذنب بنفسه، لأنه ورثه من آبائه وأجداده، وهو لهذا يحتاج إلى من يخلصه من هذه الخطيئة التى لم يرتكبها ، ويمنع عنه عقابها، وهذا المخلص لابد أن يكون طاهراً فى نفسه وإلا لاحتاج هو نفسه إلى مخلص، ولا يمكن أن يكون ذلك من بنى البشر، لأنهم ورثوا الخطيئة، لابد إذن أن يكون ابن إله.

ومعنى ذلك الاعتراف ببقاء الذنب أبداً، وأن الإنسان لا يطهر بنفسه وسعيه أبدا، فأى حق واى منطق فى هذا؟ وهل إذا خلصه المخلص لا يتلطخ بذنب يرتكبه أبداً؟

إن الإنقاذ من الذنوب كما نفهمه نحن المسلمين يكون بأحد أمرين:

ببيانه حتى لا نرتكبه ولا نقع فيه، وهذا ببساطة - هو ما يفعله كل الرسل الكرام من آدم إلى محمد عليهم السلام، وكذلك ما يفعله صالحوا المسلمين - ولو كانوا قد أذنبوا - بالإرشاد والنصيحة، لأن فعلهم الذنب لا يمنعهم من الاعتراف بأنه ذنب، وبأنه ينبغى لنا أن نبتعد عنه؛ فالمذنب عندكم لا ينقذ مذنباً، لأن الإنقاذ عندكم يكون بحمل الخطايا، لا ببيانها، لكن المذنب عندنا يمكن أن ينقذ الآخرين بإرشادهم ونصحهم، فما بالكم بالطاهر المطهر النقى خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

الأمر الثانى فى الإنقاذ من الذنوب يكون بالتوبة المقبولة والاستغفار المستجاب؛ فإذا تاب المذنب واستغفر من ذنبه فقد يقبله الله ويغفر له إن شاء...

وعلى ذلك فقصتكم عن وساطة عيسى للمذنب، وسؤالكم هل يستطيع محمد أن يتوسط لكم؟ وكيف يقبل القاضى وساطة متهم لمتهم آخر؟؟ هذه القصة وهذا السؤال مبنيان على نفس الأسطورة من تحمل الخطيئة عن المذنبين، وقد بينا فسادها عقلا ومنطقا.

إن الله عندنا لا يحتاج بينه وبين خلقه إلى وسيط، فكل إنسان يستطيع بالإسلام أن يتجه مباشرة إلى الله ويسأله أن يغفر له ذنبه، ولا يفيده وسيط كائنا من كان ولو كان من رسل الله الأكرمين ولو كان عيسى عليه السلام.

هذا إذا كانت الوساطة بالمعنى الذى تقصدونه وهو تحمل الخطايا عن الآخرين، فإن كنتم تقصدون بالوساطة الدعاء إلى الله واستغفاره للمذنبين، فهذا يفعله جميع الأنبياء بما فيهم عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، بل يفعله سائر المسلمين بعضهم مع بعض، ولكن دعاء الأنبياء أقرب إلى القبول من الله تعالى.

بقى تعبيركم الذى لم نكن نتوقعه فى حق محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام بوصفه بالمذنب والأعمى والمتهم، وهو أمر قد تجدونه متفقاً مع أدبكم الجم وتعاليمكم الرفيعة، ولكننا نرفضه، ولا نقبله فى حق عيسى عليه السلام، ونقول عنه إنه طاهر مبرأ، وأنه على بصيرة من أمره كأخيه محمد عليه الصلاة والسلام فهل عساكم معشر المبشرين أن كان كلامكم هذا ناشئاً عن جهل وعدم معرفة أن تعلموا الحق، وأن تتبعوه حتى تفوزوا وتسعدوا وتحققوا مشيئة الرسول عيسى ابن مريم عليه السلام.

وإن كان كلامكم هذا ناشئاً عن أغراض أخرى وأهداف غير نزيهة تجعلكم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون، أن تخشوا الله ربكم وأن تتوبوا إليه من خطاياكم وذنوبكم، قبل أن يأتى يوم يظهر لكم فيه عبث أفعالكم، ولا تجدون فيه من دون الله مخلصاً ولا فاديا ولا وسيطا ولا شافعا، بل تجدون عيسى عليه السلام قد أعرض عنكم وتبرأ إلى الله تعالى منكم قائلاً له: (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[1].

ونستطيع بعد ذلك أن نقول:

لو تركت الكلاب نباحها، والحيات سمومها، والثعابين لدغها، والثعالب مكرها، والحمير نهيقها، ما ترك اليهود والنصارى عداءهم لله ولا لرسوله ﷺ.

ولكن: إنما مثلهم ومثل الإسلام كمثل بعوضة وقفت فوق نخلة، ثم أرادت أن ترحل عنها، فقالت لها البعوضة: أيتها النخلة استمسكى بنفسك فإنى راحلة عنك، فقالت لها النخلة والله ما شعرت بك عند وقفت على فكيف أشعر بك وأنت راحلة عنى.

---

(1) المائدة : ١١٧

وأختم حديثي بخير الكلام وطيب الكلم:

قال تعالى: وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ*يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ*يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (آل عمران ٦٩: ٧١)

قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ*قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)
(آل عمران ٩٨: ٩٩)

قال تعالى : (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) (الأنبياء:١٨)

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

بقلم
أ.د/ على على شاهين
أستاذ بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر بالقاهرة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية